القصة القرآنية.. والبناء

لم تكن القصة في القرآن الكريم ـ ومن بعدها القصة في السنة النبوية ـ وما أدى ذلك من حضور لأمة الإسلام في التاريخ.. لم تكن بمنأىً عما أشرقت به معالمه في العهد المكي من مؤشرات ألمحت إلى وجهة الإسلام ـ دين الفطرة ورسالة اللّه إلى العالمين ـ في بناء الفرد والمجتمع، حين كشفت ـ خضم ما كان من مواجهة عقيدة التوحيد بكل صفائها ونقائها: للوثنية بكل شعبها وما يتصل بها ـ عن ظاهرة المظالم الاجتماعية بين الناس، واضطراب حبل الود والتراحم فيما بينهم، والانحراف الخلقي عند الكثيرين. وحين أوضحت ارتباط ذلك كله بإنكار يوم الحساب، والانفصام بين ما يزعم أنه عبادة، وبين ما هو سلوك.

ثم ما نهجه القرآن إزاء ذلك من الترغيب في الخير والتعاون عليه: بالأسلوب المعجز الذي يبدأ القضية من داخل النفس. وكان ذلك مصحوباً بالترهيب من تلك الجفوة للمعاني الإنسانية والوعيد بالعقاب عليها؛ كالذي رأينا من قبل في واحدة من أقصى السور المكية، وهي السورة التي ذكر فيها الماعون، وفي العديد من الآيات في سور أخر تنزلت في حقبة مبكرة من حياة دعوة الإسلام.

أجل: لم تكن القصة القرآنية بمنأى عن ذلك، بل كانت واحداً من السبل المضيئة التي سلكها هذا الكتاب الكريم في إيصال الدين القيِّم إلى النفوس، لتنعكس آثار الاستمساك به على الحياة بوجوهها جميعاً وميادينها كافة؛ فأسهمت إسهاماً ملحوظاً، وأخذت دورها البارز في التمهيد لبناء الإنسان على الوجه المرْضيِّ، وإقامة القواعد التي يقوم عليها بناء الجماعة والمجتمع: بناءً مصروفة عنه عوامل الأذى والضعف، وترفده ـ دائماً ـ عناصر الحياة التي تمكِّن له، وتجعله قابلاً للنماء قادراً على العطاء.

obeikandi.com

والحجم الذي أخذه القصص القرآني في الكتاب العزيز: دليل عظمة الهدف الذي كان من أجله هذا القصص، حيث الدروس والعظات والحِكم الغاليات، وحيث المقارنة والمقايسة، والعبر التي لا يستغني عنها رواد الحقيقة، ناهيك عن تثبيت فؤاد النبي ﷺ في مواجهة ما كان يلاقي من الصعاب، مع رغبته القلبية العارمة في استجابة أولئك الجانحين المضيِّعين، لما يدعوهم إليه من الهدى والخير العميم.

وحسبك أن هذا القصص ينقل بدقة وأمانة منقطعتي النظير تجارب الأمم وحصاد القرون، والآثار التي ترتبت على الإيمان أو الكفر برسالات الرسل عليهم الصلاة والسلام، وما كان من سنن اللّه التي لا تتخلف ولا تتبدل في عاقبة كل من المحسن والمسيء.

لقد كان المسلمون يتلقفون الدعوة وتبعاتها في القرن السادس للميلاد، والقرآن يحمل إليهم ـ من طريق القصة القرآنية عبر القرون التي سلفت والأمم التي خلت ـ ما يحمل من ذلك الكم الهائل من التجارب والعبر، وكل ما فيه أحقية ما جرت عليه سنن اللّه في الإنسان والكون والحياة، وكان ذلك رافداً من أهم روافد الهداية على طريق هؤلاء الذين أسلموا وجوههم لله، مع ما كانوا يلقون من الشدة الشادة وعظيم الابتلاء في سبيل اللّه!

وطريقهم هذه لم تكن ـ على الحقيقة ـ مدرجة خيِّرة لهم فحسب، ولكنها كانت للإنسانية كلها، إذ لم يكن في أصقاع الأرض من يعتنق الكلمة الطيبة كلمة التوحيد، ويذود عن حياضها ويصبر على ما يصيبه من جراء ذلك سواهم. ألم تر إلى قوله ﷺ وهو يتضرع إلى مولاه يوم (بدر): «**اللّهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض**» ؟!

لذلك يمكن القول بأن ما كان يحصل لهم من الانتفاع وشد الأزر بعبرها وعظاتها، وترسيخ الإيمان وأهلية الاحتمال في سبيله ـ عنوان التصديق بعطاء سنن اللّه التي لا تتبدل ولا تتحول ـ.. هو في خدمة الإنسانية كلها عبر القرون المتطاولة حتى يرث اللّه الأرض ومن عليها.

وما دام في الناس قرآن يتلى ـ وهو محفوظ بحفظ اللَّه الذي أنزله ـ فالعبرة من القصص قائمة لأولي الألباب العاملين المجاهدين الصابرين، تغني طريقهم ببواعث الخير، وتثبت أقدامهم، وتؤنس ما يمكن أن يكون من وحشة التحدي لديهم، وتحرك في أعماقهم ـ مع ضياء القلب والعقل ـ مزيداً من الاعتبار والقدرة على المقايسة المجدية، والمقارنة التي تؤدي غرضها على صعيد الموقف والسلوك!!

والقصة في القرآن ـ وهي لون من ألوان البيان على طريق الهداية والدعوة إلى اللَّه؛ هدماً للباطل ورفعاً لقواعد الحق الذي نزل به الكتاب وإقامة واعية أمينة لصروحه ـ هي تعبير عن وقائع حدثت على وجه اليقين زماناً ومكاناً وأشخاصاً ـ ذكوراً وإناثاً ـ جرت على أيديهم، أو حلت بهم تلك الوقائع.

وإنا لنبرأ إلى اللَّه من قالة سوء طلع بها على الناس في الأربعينيات من هذا القرن واحد من المنتسبين إلى الأدب، حين قرر أنه ليس ضرورياً ـ دائماً ـ أن تكون القصة في القرآن تعبيراً عن حوادث وقعت، أو أحداث جرت، بل من الممكن أن يكون ذلك حبكة فنية لا علاقة لها بالواقع!!

إنا لنبرأ إلى اللَّه من ذلك ومن كل نفثة شيطانية تمُتُّ إلى ذلك بصلة؛ لأن القصة في كتاب اللَّه ـ وهو كلامه القديم المنزل ـ أو في السنة وهي بيان الكتاب: ليست عملاً فنياً ينسجه خيال واحد من الأدباء، ويبني أسلوبه على طريقته في الأداء، ولكنها إخبار من اللَّه تعالى عما وقع، أنزلها على نبيه ﷺ للعبرة والتذكر، وليست حديثاً يفترى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾[النساء: ٨٧] .

ألم تر إلى ما افتتحت به سورة يوسف من قوله جل شأنه: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝١ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ۝٣﴾[يوسف: ١-٣] ثم إلى ما اختتمت به من قوله سبحانه:﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝١١١﴾[يوسف: ١١١] .

وبعد: فقد كانت هذه كلمات لا بد منها ـ ولها ضميمة تأتي ـ بين يدي قصة أصحاب الجنة التي جاء ذكرها في سورة (القلم) لتعطي ـ واللام للعاقبة هنا ـ واحدةً من إشارات مبكرة في العهد المكي، تؤذن من خلالها بأن البناء الذي يهدف الإسلام إلى رفع قواعده على أساس من عقيدة التوحيد: بناء متكامل، يبدأ من الإنسان في أعماقه، ولا يدع أن يحاصر الفساد في المجتمع ويطهره من ظلم الفقراء والضعفاء، وانحسار الإحسان إلى من ينبغي أن يحسن إليه ذلك الانحسار الذي بلغ مبلغ أن لا يحصل التواصي في بعض الأحيان بشيء من ذلك.

ولقد كان واضحاً ـ كما تدل النصوص ـ أن مما يراد من وراء هذا المنهج: أن يقتلع الفساد الظالم من جذوره ويقام على أنقاضه مجتمع العقيدة التي تحكمه شريعة الإسلام، وتزينه أخوة الإيمان، وتتنامى في ظله إنسانية الإنسان، وتتحقق في أرجائه على صعيد الأمة عبودية الديان.

obeikandi.com

القصص القرآني.. والبناء
أصحاب الجنة

لست بسبيل الاستقصاء لكل ما ورد من القصص في كتاب اللَّه عز وجل؛ ولكنني بسبيل التنبيه على النموذج الذي يسعف في محاولة الانتفاع بغيره، وذلك ما يتفق مع قضية البناء المطروحة ضمن موضوعنا العام.

وقد أشرت في معرض التذكير بالأهمية البالغة للقصص القرآني المثقل ـ مع أحقية وقوعه ـ بالعبر والعظات والذي تنزّلت آياته على نبينا محمد ﷺ مشرقة بأسلوبها المعجز حيث ترى التفصيل مرة، والإجمال أخرى، بل قد ترى الإلماحة السريعة مرة ثالثة.. وهكذا بحسب موقع التذكير بالقصة على سلم الهداية في كتاب اللَّه عز وجل. أشرت إلى قصة أصحاب الجنة التي ورد ذكرها في سورة (القلم) ووعدت برحلة عجلى معها لا يتسع لأطول منها المقام، وهذا أوان أن أفي.

وموطن العبرة في هذه القصة التي وعدت بالإلماح إليها: ذو شعب؛ منها أن هذا الموطن يرتبط بالجانب الاجتماعي للبناء الذي وقفتنا على تباشيره المبكرة في عمر الرسالة: آيات بينات في العديد من السور المكية، قبل أن تكون للدعوة كلمة نافذة في المجتمع وقياده، بل على العكس من ذلك: كانت الفئة القليلة المؤمنة هي المستهدفة في الفتنة عن الدين، والأذى المجنَّح المستهتر من المشركين عمي البصائر؛ شأن سدنة الباطل الذين يرون في سلطان الحق خطراً يزيحهم عن مواقعهم الظالمة في المجتمع، ويحرمهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا والسلطان على حساب الحق وأهله.

هؤلاء كفار قريش، أهدى اللَّه إليهم رحمته العظيمة ببعثة محمد عليه الصلاة والسلام رسولاً من أنفسهم، يخرجهم بالقرآن من الظلمات إلى النور، ويهديهم إلى الحق بعد أن كانوا في ضلال مبين!

وبدلاً من أن يشكروا هذه النعمة العظيمة فيؤمنوا بالنبي عليه الصلاة والسلام، ويعزروه، وينصروه، ويسلكوا باتباعه السبيل التي تبدِّل ظلامهم المتسربلين به: نوراً وهداية، وشتاتَهم الجاهلي: انتظاماً وقدرة على العطاء: قابلوه بالتكذيب والجحود، والرد، والمحاربة بشتى الأساليب، بل محاولة الصدِّ عن دينه وإلحاق الأذى والفتنة العاتية بكل من يعتنق هذا الدين!!

فضرب اللَّه تعالى لهم مثلاً في قصة أصحاب الجنة الذين اختبرهم ـ جلَّ شأنه ـ بنعمة الثمرات والخيرات؛ فكان من شأنهم ـ وقد كفروا بالنعم ـ ما هو من جنس كفرانهم: لعلهم يعتبرون أو يكون ذلك ذكراً لهم وقد أنعم عليهم بالرسالة الخاتمة، فماذا كانت عاقبة كفران النعمة والعبث المزري لأولئك؟ ذلك ما أفصحت عنه الآيات الكريمات في سورة القلم ـ كما أشرت آنفاً ـ.

في هذه السورة المباركة، وبعد ذكر مجموعة من مساوئ الأخلاق التي اتَّسَم بها سلوك واحد من زعماء المشركين البارزين، والكشف عن قوله إذا تليت عليه آيات اللَّه: (أساطير الأولين)، والوعيد الشديد على صنيعه المردي: يقول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿**إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾**﴾[القلم:١٧-٢٤] .

لقد أقسم أصحاب هذا البستان المشتمل على أنواع الفواكه والثمار: أن يقوموا بالقطاف ليلاً فيجذُّوا الثمر كلَّه في نجوة من الناس، لكيلا يعلم بهم فقير أو مسكين، وبذلك لا ينتقص من محصول البستان شيء ـ على زعمهم ـ فلا عطاء ولا صدقة ولا إحسان!!

وكان حلفهم عاماً لم يستثنوا منه حالة من الحالات، ولا إنساناً ـ مهما كان شأن احتياجه ـ من الناس؛ وذلك خلافاً لخطة أبيهم الذي ورثوا عنه هذه النعماء، نعماء البستان الزاخر بالخيرات، فقد كان هذا الأب على السنن القويم كثير العطاء والبذل.

ولهذا ـ كما قال العلماء ـ حنَّثهم اللَّه في أيمانهم فقال جل شأنه: ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ ﴾[القلم: ١٩-٢٠] .

لقد أصابت جنتهم ـ بستانهم ـ الجائحة بقدرة اللَّه تعالى وهم نائمون، فحرموا من خيراتها بذنبهم حين استجابوا لنداء الشيطان، وما زينت لهم الأهواء، فخافوا النقص إذا فعلوا الخير، بأن يجعلوا للفقير والسائل والمسكين نصيباً من الفاكهة والثمر.

وكان المفترض أن يشكروا نعمة اللَّه عليهم، فيظلوا على نهج أبيهم السويِّ، لا أن يسفهوه بعد موته، ويقبضوا أيديهم عن البر.

لقد وقعوا في الإثم مرتين: مرة حين قبضوا أيديهم عن الإحسان، وأخرى حين خالفوا عن المسلك النيِّر الذي كان ديدنَ أبيهم كلما حان القطاف، وفي ذلك إغضاب وإساءة له بعد موته.

لقد استيقظوا مبكرين لإنفاذ ما ائتمروا به وأقسموا عليه، ونادى بعضهم بعضاً ليذهبوا إلى الجذاذ وهو القطع والقطاف، دليل الإصرار على الانحراف واستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير.

وانظر إلى الأسلوب القرآني الفذِّ في تصوير مشاعرهم وخلجات نفوسهم، حتى كأنك تراهم أمامك ـ وهم على هذه الحال ـ شاخصين يتهامسون ﴿فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٣﴾﴾[القلم: ٢٣] يتناجون فيما بينهم بحيث لا يُسمعون أحداً كلامهم. وبماذا يتخافتون؟ يقول بعضهم لبعض: لا تمكنوا اليوم فقيراً يدخل عليكم، ولا تفسحوا المجال لمسكين يستشرف لأخذ شيء ـ مهما قلَّ ـ من الثمر.

وهكذا يتخافتون ويتهامسون ـ بقسوة قلب ـ كأنهم كتلة تخافت وتهامست، معطَّلةً عقولهم، مغشَّى على قلوبهم بما سيطر عليهم من الشح الذميم ﴿أَن لاَّ يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾﴾[القلم: ٢٤] وكانوا جادين فيما عزموا عليه، يحملون في دخيلة أنفسهم الكثير من الغيظ من أولئك الضعفاء المحتاجين.

وبذلك تجمعت أسباب أن يكونوا على قوة وشدة يستخدمونهما لإنجاز أفكارهم المجافية لما ينبغي من عمل الخير، وتحصين النعمة بالشكران؛ ذلكم قوله تعالى: ﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾[القلم: ٢٥].

ولكنهم فوجئوا بالمأساة الأليمة، مأساة استحالة النضارة في القطوف الدانية، والثمار الزكية الشهية إلى سواد مُدلهم لا ينتفع بشيء منه، بل هو ـ كما يوحي شكله المرهق ـ صورة غضب اللّه ومؤاخذته لهم على كفران النعمة، والمخالفة عن طريق أبيهم السويِّ: بما أقسموا على منع الخير، وقبض أيديهم عن عطاء من هم أهل للعطاء، وقطع رجائهم وقد تعودوا أن يكون لهم ذلك من قبل.

ولكن اللّه قادر على أن يحيي الأرض بعد موتها، ألان قلوبهم بعد قسوة، فأيقظهم المصاب من سبات الغفلة، فرجعوا إلى بارئهم معترفين بظلمهم، وأن ما جنته أيديهم كان الضلال المبين، راجين أن يبدلهم اللّه خيراً منها ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾[القلم: ٢٦-٣٣].

هكذا كان العذاب في الدنيا حرماناً من الثمر كله بجانب ما حدث لهم من الهلع والاضطراب لثقل المفاجأة، ولعذاب الآخرة لمن يقع في مثل هذه الحمأة الظالمة أشد وأعتى.

إن هذه القصة بما تحمل من العظة النافعة والعبرة الناجعة، تمثل ـ كما أسلفت من قبل ـ واحداً من المؤشرات في العهد المكي يقفنا على أهمية التكامل في المجتمع الإسلامي كما يراد له أن يكون.

صحيح أن القصة بوقائعها العميقة المؤثرة حصلت لأناس كانوا قبلنا، ولكن عرضها بهذا الأسلوب المعجز مثلاً لموقف كفار قريش مع المعركة الفاصلة بين التوحيد والوثنية: دليل على هذه الوجهة الإسلامية في البناء، بدءاً من داخل

النفس، الوجهة التي أطلت تباشيرها قبل الهجرة، وقبل حيازة المسلمين سلطة التوجيه والحكم. ألا وإن العبرة قائمة بذلك حتى يرث اللَّه الأرض ومن عليها، وطوبى للمعتبرين!

obeikandl.com

obeikandl.com

القصص القرآني... والبناء

استخلاص العبر والعظات من القصص القرآني بدقة وإحاطة، ومعرفة بالواقع: غيرُ محدود بزمان معيَّن، وكان من إكرام اللّه لهذه الأمة ورحمته بالعباد ـ على وجه العموم ـ حفظه لكتابه العزيز من أي تغيير أو تبديل مهما كان شأن الواحد منهما؛ فكما نزَّله وحياً على نبيه محمد عليه الصلاة والسلام، تولى هو جل شأنه ـ بنفسه ـ حفظه ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[الحجر: ٩] .

وما دام الأمر كذلك: فالدعوة إلى استخلاص العبر والعظات، واستنباط الحِكم والأحكام من كل قصة جاء على ذكرها كتاب اللّه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه: قائمة لخير أمة أخرجت للناس؛ لما أن ذلك منوط ـ أبداً ـ بالتحرك على ساحة العمل الجادِّ لتنمية العلاقة بأبعاد رسالة الإسلام، ونشر هذه الرسالة في العالمين، وصياغة المجتمعات ـ في ظلها ـ على النهج الذي رسمه القرآن، وبيّن حدوده، وأرسى معالمه المبيِّن عن اللّه محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

وكم في القصص القرآني ـ ومن بعده قصص السنة ـ: من دروس وعظات تثبت أقدام العاملين، وترفد طريقهم بغنى التجربة، وتواسيهم بما ينالهم من لأواء الطريق، في ظل سنن اللّه التي لا تتخلف، حين يواجهون تحديات المبطلين والهدامين.

ولعلنا لا نغفل المغزى العميق الذي تنطوي عليه تسمية واحدة من سور القرآن بـ (سورة القصص).

ومن أجل هذا: كان لا بد من ضميمة أشرت إلى الحاجة إليها بين يدي كلمات وجيزات سقتها عن قصة أصحاب الجنة حين ائتمروا فيما بينهم، وبيتوا في الظلام العزم على قبض أيديهم عن الإحسان إلى الفقراء والمساكين، بعدم إعطائهم من ثمر

جنتهم عند القطاف ما كان يعطيهم أبوهم من قبل، وعن كونها جاءت في القرآن تذكيراً لمشركي قريش بأن يستخلصوا العبرة مما حصل لمن كفروا النعمة، وأنهم إذا أصرّوا على هذا الكفران بنعمة إرسال رسول منهم يخرجهم من الظلمات إلى النور: سينالهم من وراء ذلك الشر الوبيل.

والضميمة التي أعني: كلمات تشير إلى زمرة من الآيات في الكتاب الكريم تشرق بمجموعها بواحد من المعالم القرآنية التي تكشف عن الأبعاد التي أعطيت للقصص القرآني، والوظيفة التي يؤديها على ساحة الهداية أداءً يتسع لتنوُّع الأحوال والطرائق، والعمل على أن تأخذ عقيدة التوحيد مكانها في بناء الإنسان، وأن يفسح لشريعة الإسلام كي تُحكم بناء المجتمع الذي لا يعوزه النظام الدقيق والتآخي المثمر، وتذكي فيه روح الجماعة والتعاونِ على كل ما فيه تنمية وجوده الذاتي، وتطلعاته إلى ما فيه قوة وعزة المؤمنين.

ففي سورة الأعراف: إشارة إلى سنة من سنن اللّه تعالى في الطبع على قلوب الكافرين جزاء إعراضهم عن الحق وصدهم عن سبيل اللّه. نجد ذلك في قول اللّه جل ثناؤه: ﴿**تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾**﴾[الأعراف: ١٠١].

هكذا يقص اللّه على نبيه أنباء تلك القرى، وكيف طبع ـ سبحانه ـ على قلوب أهلها، جزاء عدم إيمانهم بما كذبوا به من قبل من البينات التي جاءتهم بها رسلهم عليهم السلام، وذلك جرياً على سنته الحكيمة في ذلك.

أرأيت إلى هذا البيان المعجز الذي تحقق معه غرض عظيم من أغراض هذه القصة، وهو التحذير من الوقوع فيما وقع فيه أهل القرى، لكيلا يحلَّ بمن يسيرون على سنتهم ما حلَّ بهم من طبع اللّه على قلوبهم والعياذ باللّه.

وفي سورة (هود) نقرأ بعد الآيات التي عرضت لقصص عدد من الأنبياء مع أقوامهم: قول اللّه تبارك وتعالى خطاباً لنبينا صلوات اللّه وسلامه عليه: ﴿**ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾**﴾[هود: ١٠٠-١٠١].

ثم قال تعالى بياناً لسنته في أخذ الظالمين أخذه الأليم الشديد. وكيف أنهم يخسرون دنياهم وآخرتهم جميعاً: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود:١٠٢].

إن هذا التذكير بسنة اللَّه في أخذ الظالمين جزاء صدهم عن سبيل اللَّه وتجاوزهم حدوده: يمثِّل دائماً غرضاً نيِّراً من أغراض القصة القرآنية؛ لأنه ـ كما رأينا آنفاً ـ يحمل وجوب الاعتبار والتحذير البالغ من الوقوع فيما يكون سبباً لأخذ اللَّه الأليم الشديد.

فاللَّه تعالى يذكِّر بهذه الكلمات الهاديات عباده على امتداد الأزمنة والدهور، وحتى قيام الساعة، بهذه السنة الحكيمة. يقول سبحانه: وكما أهلكنا أولئك القرون الظالمة المكذبة لرسلنا كذلك نفعل بنظائرهم وأشباههم وأمثالهم، والعاقل من ذكر فذكر، وقايس الأعمال والعواقب فاعتبر.

وفي مزيد من التنبيه على ما يجب من الحذر والحيطة في مجانبة أي لون من ألوان الظلم: لم يدع رسول اللَّه ﷺ أن يكون هذا من بيانه للآية الكريمة.

روى الإمام البخاري بسنده عن أبي موسى الأشعري رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن اللَّه ليملي للظالم، فإذا أخذه لم يفلته**»، ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢].

ورواه مسلم ولفظه «**إن اللَّه عز وجل يملي للظالم، فإذا أخذه لم يفلته**». ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢].

قال الإمام النووي: معنى «يملي»: يمهل ويؤخر ويطيل له في المدة، وهو مشتق من الملوة، وهي المدة والزمان بضم الميم وكسرها وفتحها. ومعنى «لم يُفلته»: لم يطلقه ولم ينفلت منه. قال أهل اللغة: أفْلته: أطلقه. وانفلت: تخلص منه.

وفي عود على بدء: لا بد من التنبه إلى أن السورة نفسها تهدي إلى غرض عظيم آخر من أغراض القصة القرآنية، ألا وهو تثبيت فؤاد النبي ﷺ وهو يطّلع على ما حصل للرسل عليهم السلام من قبْله كيف أوذوا في اللَّه وصبروا على ما أصابهم في سبيل اللَّه، وكيف أن اللَّه جل شأنه نصر حزبه المؤمنين، وخذل أعداءه الكافرين.. قال تعالى: ﴿**وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾**﴾[هود: ١٢٠] .

وهكذا يثبت اللَّه ـ بما حصل للرسل مع أقوامهم ـ نبيه عليه الصلاة والسلام، ليكون له بمن مضى من إخوانه المرسلين أسوة. وهذا أمر عظيم على طريق الدعوة إلى اللَّه في حياته ﷺ ومدعاة لأن يتأسى به الدعاة المخلصون في كل عصر ومصر، فيظفروا بإحدى الحسنيين؛ إما تحقيق ما أرادوه من الهداية والخير أو الشهادة في سبيل اللَّه. واللَّه تبارك وتعالى لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

وقد أشرت من قبل إلى ما يقع عليه القارئ لسورة يوسف من قوله تعالى في الآية الثالثة منها: ثم قوله جل شأنه في ختامها بعد رحلة مباركة مع قصة هذا النبي الكريم الذي أوذي فصبر، الرحلة التي يتبدى في عرض وقائعها الإعجاز البياني بأجلى مظاهره: ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾**﴾[يوسف: ١١١].

هذا: وفي تنويع لأساليب الدعوة في المنهج القرآني: يرشد الكتاب العزيز النبي ﷺ إلى أن يقصّ على اليهود ـ وهم يمكرون ويداورون ويشترون بما أنزل اللَّه ثمناً قليلاً ـ قصة مثقلة بالعبر والعظات، لعلهم يتدبرونها، فيؤمنوا. جاء ذلك في سورة الأعراف حيث قال اللَّه جل وعز: ﴿**وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾**﴾[الأعراف: ١٧٦-١٧٧].

روى الإمام الطبري عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما أن الرجل المقصود في الآية هو «بلعام» من أهل اليمن آتاه اللَّه آية فتركها وانسلخ منها.

ثم قال تعالى: ﴿سَاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [الأعراف: ١٧٧].

وبعد: فلشد ما يستوقف الناظر المتدبر قوله تعالى في ختام الآيات السابقة: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ يأمر اللَّه نبيه محمداً ﷺ أن يقصص القصص على اليهود مبيناً شأن بلعام كيف انقاد للشيطان فانسلخ مما آتاه اللَّه من الآيات، وما كان من سنة اللَّه في الحكم عليه. واقترن ذلك بالكشف عما يرجى من تفكرهم ـ أن لو تفكروا ـ الذي يمكن أن يقودهم إلى الإيمان.

قال الحافظ ابن كثير: «وقوله تعالى: يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾؛ أي لعل بني إسرائيل العالمين بحال بلعام، وما جرى له من إضلال اللَّه إياه وإبعاده من رحمته، بسبب أنه استعمل نعمة اللَّه عليه في تعليم اسم اللَّه الأعظم ـ الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب ـ في غير طاعة ربه، دعا به على حزب الرحمن، وشعب الإيمان، أتباع عبده ورسوله في ذلك الزمان، كليم اللَّه موسى بن عمران. ولهذا قال: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي فيحذروا أن يكونوا مثله؛ فإن اللَّه قد أعطاهم علماً، وميزهم على من عداهم من الأعراب، وجعل بأيديهم صفة محمد ﷺ يعرفونها كما يعرفون أبناءهم، فهم أحق الناس وأولاهم باتباعه، ومناصرته ومؤازرته، كما أخبرتهم أنبياؤهم بذلك وأمرتهم به؛ ولهذا من خالف منهم في كتابه وكتمه فلم يعلم به العباد أحلَّ اللَّه به ذلاً في الدنيا موصولاً بذل الآخرة».

ومن هنا كان الوعيد الشديد في الآية التي تلت: أمراً على غاية الأهمية في شأن الهداية وحمل القوم على سواء الصراط: فاللَّه تعالى يقول: ﴿سَاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ أي ساء مثلهم أن شبِّهوا بتلك الحيوانات

التي لا همة لها إلا في تحصيل أكلة أو شربة أو شهوة؛ لأنها عديمة العقول والقلوب: فمن خرج عن حيز الهدى والعلم ونور العقل، وأقبل على الشهوة لا غير، متبعاً هواه المضلّ، صار شبيهاً بالكلب وبئس المثل مثله.

ونخلص بعد هذا إلى استذكار أن تاريخ الإنسانية سلسلة متكاملة الحلقات؛ فيها البناء والتعاون على ما فيه الصلاح والإصلاح، وفيها الهدم ومظاهرة الباطل على الحق مع قيام الدليل بجانب الحق. وأمتنا ـ وهي تنشد على ألسنة وأقلام المصلحين فيها ـ أن تكون على الخط الواضح المستنير في الإعداد المتكامل للفرد والجماعة مقروناً ذلك بمعرفة الواقع والانصياع لما تقتضيه سنن اللَّه في الكون وخليقته ـ من الواجب المؤكد أن تضع المسلم المعاصر في الموضع الذي يفيد لطريقه من الماضي والحاضر، كيما تمتد يده ـ حين تمتد إلى البناء ـ ومن ورائها حصيلة تجارب الآخرين والعبر المستخلصة مما يرى اليوم، وما علم من الأمس، ناهيك عن تلمس العلاقة بين ذلك كله وبين ما تقتضيه سنن اللَّه التي لن تجد لها تحويلاً ولا تبديلاً.

وكما شاء اللَّه أن لا تتوقف حركة التاريخ: فالمطلوب أن يكون المسلم ـ على الأحوال كلها ـ طاقة فاعلة مؤثرة تنعكس قوتها على عملية البناء والنماء، وأن يكون من تكامل إعداده لذلك: أن يضع ـ وهو يتحرك على محور عقيدته، وطريقته في قيادة حركة الحياة ـ: ما يستخلص من عبر وما يفيد من تجارب على طريق تغني البنية الحضارية والأمة، وتوجهها وجهة الخير وتحقيق سعادة الإنسان في الدارين، وتتوافق أبداً مع رسالة الإسلام في العالمين.

obeikandi.com

obeikandl.com

مرة أخرى..قصة أصحاب الجنة

لقد أخذت العبرة في قصة أصحاب الجنة التي عرضنا لها من قريب أكثر من بعد، ولقد أشرت ـ فيما سبق ـ إلى ما كنا بسبيله من الكشف على أن من بعض ما تدل عليه هذه القصة: أن مطلوباً من المسلمين أن يكونوا ـ وهم يخطون الخطوة الأولى في ظل العقيدة التي آمنوا بها وأسلموا وجوههم لله البارئ المصور من خلالها واعتبروا بالقصص القرآني ـ: على تصور سليم لما يجب أن تتسم به عملية البناء من الشمول؛ بحيث يتجاوز الأمر بناء الفرد على العقيدة، إلى بناء المجتمع بناءً تترجم معه العقيدة إلى وجود عملي تنطق به حركة الفرد والأسرة والجماعة، ويُشرق بهديه تنظيم العلاقات التي تحكم كل هؤلاء على أساس من تلك العقيدة التي عنوانها الكلمة الطيبة «لا إله إلا اللَّه محمد رسول اللَّه».

ألم تر أن الجاهليين الذين دُعوا إلى إحكام النظر في هذه القصة والاعتبار بما حدث لأهلها، يؤخذ ـ فيما يؤخذ عليهم ـ ما غشيهم من تلك الظاهرة المرضية التي لا يرتاب منصف في أن استمرار الإقامة عليها عنوان التخلخل الاجتماعي، ونذير خراب المجتمع ودماره على وجه الحقيقة، وإن بدا سليماً معافىً كما يبدو للناظر في السطح لأول وهلة دون الغوص إلى الأعماق.

تلك الظاهرة هي تجاوز حقوق ذوي القربى، وإهمال ذوي الحاجات، والمضارّة بالضعفاء والمساكين، مضافاً ذلك إلى انعدام روح التناصح والتحاضِّ على ما فيه الأخذ بيد الضعيف وذي الحاجة إلى المستوى اللائق بكرامة الإنسان وأهليته ـ إذا أحسن التعامل معه ـ للعطاء.

والذي نومئ إليه من التعميم في غرض القصة بحيث لا يحده الزمان والمكان: لا ينافي أن القصة ـ كما أسلفت من قبل ـ أوردها الكتاب الكريم مثلاً لكفار قريش الذين أنعم اللَّه عليهم ببعثة المصطفى عليه الصلاة والسلام ليكون رسولاً منهم،

وأنزل عليهم كتاباً فيه ذكرهم، وأطعمهم من جوع وآمنهم من خوف، فجحدوا هذه النعم العظيمة التي لم يقدروها، بما قابلوا به دعوة الرسول ﷺ من التكذيب والعناد، والصد عن سبيل الله، ومحاولة فتن من لا يؤمنون عن دينهم بألوان الأذى!!

فكان مثلهم في ذلك مثل أولئك الذين أفاض الله عليهم نعماءه بتلك الجنة المثمرة وارفة الظلال، فكفروا بالنعمة ولم يشكروها، حين خالفوا عن خطة أبيهم النقية البانية وقد ورثهم تلك الجنة، وأقسموا جهد إيمانهم متعاونين على الإثم والمخالفة عن طريق الإحسان وصنائعه.. أقسموا على نكران حقوق المساكين، ومن هم أهل الحاجة والعوز، التي اعتادوا أن يحظوا بها كل عام يوم يحين القطاف.

ولقد كان من بديع النظم القرآني هذا الإعلان عما أقسموا عليه بقوله تعالى: ﴿**أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ** ﴿٢٤﴾﴾ [القلم: ٢٤].

وموطن العبرة بمقايسة العقل السليم ـ أن لو كان الناس من هذا الصنف يعقلون ـ أنه كما كانت عاقبة هؤلاء خسارة دينهم بما عصوا أمر الله وعدَوا على خطة أبيهم، وخسارة دنياهم بما ضيعت عليهم الآفة السماوية من رأس المال والربح جميعاً ﴿**فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ** ﴿١٩﴾ **فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ** ﴿٢٠﴾﴾ [القلم: ١٩-٢٠].

فكذلك هؤلاء الكفار: إذا أصروا على عنادهم وتكذيبهم لنبيهم عليه الصلاة والسلام وهم يعلمون علم اليقين أمانته وصدقه، فسينالهم من سوء العاقبة ما نال أولئك، ولن يكون الخسر مقصوراً على هذا الضلال الذي يغضب الله تبارك وتعالى، بل سيكون شاملاً لدنياهم التي يرغبون شديد الرغبة في تنميتها أيضاً، ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون.

والواقع أن دعوة الإسلام أحيت ـ بحمد الله ـ هذه الأمة في دينها ودنياها، وعاقبة أمرها: حتى إن الرسول صلى الله وسلم وبارك عليه: كان فيما صنع بُعَيْد مهاجره إلى المدينة: أن أقام للمسلمين سوقاً خاصة بهم، ليس لأحد عليها من سلطان، بعد أن كانت لليهود السيطرة الاقتصادية والمراباة، والتحكم بسوق المدينة، والتلاعب بأسعار السلع كما يشتهون!!

ولا تسل عن التمكين في الأرض للمسلمين، وما أورثهم اللّه من ديار الأعداء، والأرض التي لم يطؤوها من قبل؛ كيف تفتحت لهم ـ بالإسلام ـ أبواب البناء الحضاري الذي كانوا فيه سادة الدنيا، وقادة الإنسانية بلا منازع.

وما أدقَّ تلك المنهجية التي نقع عليها في كتاب اللّه وسنته عليه الصلاة والسلام في إرشاد الأمة إلى حيث الانتفاع بالوقائع، والمخالطة المجدية لتجارب الآخرين، بعد أن كان لها هذا الحضور التاريخي بالخبر الصادق عن الماضين.

لقد أخذ اللّه بيد المؤمنين إلى موطن العبرة وإعمال العقل بالمقايسة والمقارنة، وإحكام النظر في العلاقة بين المقدمات والنتائج، وإدراك الخطورة الكامنة وراء الغفلة عن سنن اللّه الحكيمة في الوجود، وخيرية التبصُّر فيها بقلب مؤمن، وعقل ينصاع بنوره الإيماني إلى حيث الانتفاع المجدي بهذا النور.

فالكافرون بالنعمة: مصيرهم كذا، أما المؤمنون المستقيمون على أمر اللّه: فمصيرهم على العكس من ذلك، والعاقل من تدبَّر وأنصف وانتفع!!

ها نحن نجد أنه بعد ذكر حال أهل الجنة الدنيوية، وما أصابهم فيها من النقمة الربانية حين عصوا اللّه عز وجل وخالفوا عن سبيله، فعزموا بصرامة وتوكيد على حرمان من يريد هو ـ سبحانه ـ أن يُكرَموا ويُحسنَ إليهم من ثمار تلك الجنة كما كان يصنع أبوهم الذي أورثوها منه.. بيّن ـ جل شأنه ـ أن لمن وقف عند أمره فاتقاه وأطاعه جنات النعيم الذي لا ينقطع ولا يزول.

ذلكم قوله تعالى في أعقاب الآيات التي تحدثت عن القصة التي عليها مدار الحديث في سورة القلم والتي ختمت بقوله: ﴿**كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٣٤﴾**﴾[القلم: ٣٣-٣٤].

ولا يخفى ما يعطي التوكيد بـ «إن» وتقديم ما يتعلق بالخبر «عند ربهم» من مزيد الإكرام الإلهي لأولئك المتقين الذين استعلوا على سلطان الهوى، ورذيلة الشح الأثيم.

وإذن: فالمسلمون مدعوون ـ على مدى الأجيال المتعاقبة حتى يرث اللّه الأرض ومن عليها وقد تلقَّوا هذه القصة عن اللّه ـ أن يعطوا من أنفسهم، وأن يبذلوا ـ وبخاصة أهل السعة منهم ـ من مالهم الذي هو في الحقيقة مال اللّه استخلفهم فيه، لكي تسلم بنية المجتمع في ظل أحكام الإسلام وأخلاق الإسلام، ولهم بذلك خير الدنيا والآخرة وسعادة الدارين.

وذلك ما يستقيم في ميزان العقل السليم؛ فهل يمكن أن يساوي اللّه العادلُ الرحيم الكريم، بين المجرمين والمسلمين في الجزاء؟ إن العدالة الإلهية تأبى ذلك بلا ريب. وهي حقيقة كان من تكامل المنهج التربوي في القرآن: أن تذكر مباشرة بعد الآيات التي خلت؛ ذلكم قوله جلَّ وعز: ﴿**أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾**﴾[القلم: ٣٥-٣٩].

﴿**أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾**﴾[القلم: ٣٥] استفهام إنكاري يدرك العربي دلالته في استنكار الدعوى التي جاء الاستفهام بسببها﴿**مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾**﴾[القلم: ٣٦] أي كيف تظنون ذلك وسنة اللّه لا تتخلف في كون العاقبة متسقة تمام الاتساق مع العمل!!

هذا: وقد كان رسول اللّه ﷺ ـ وهو يخوض معركة البناء ـ بشتى ميادينها ـ في الداخل والخارج، يعمل على إزالة الركام من داخل النفس ومن أرض المجتمع، في حرص على بناء الأمة البناء السليم، الأمر الذي كان من شأنه: أن يقدِّم ـ صلوات اللّه وسلامه عليه ـ البديل الصالح لما يزيل، وأن لا يهمل جانباً لحساب جانب آخر، مصحوباً ذلك بالعمل الدؤوب على تنمية قدرة أصحابه على الاعتبار، وأن يكون لديهم ـ مع إدراك الأبعاد ذات التأثير في الواقع ـ حسن الاتعاظ بما سبق.

openkhalid.com

وذلك من أهم العناصر التي ينبغي توافرها لمن يناط به أمر البناء، وتنمية روح الإقدام والثبات في الأمة مهما كانت الصعاب والمعوقات؛ لأن الصبر على ذلك عند المؤمن مرقاة يرقى بها إلى منازل القرب عند اللَّه. والفوز بما أعد لأحبائه المجاهدين الصابرين، ناهيك عما يتحقق من الإنجاز الحضاري على أرض الواقع.

من هنا رأيناه صلوات اللَّه وسلامه عليه يضع أيدي الصحابة الكرام على واحد من مواطن العبرة في القصة التي تجري الدندنة حولها فيقول: «**إياكم والمعاصي؛ إن العبد ليذنب الذنب فيحرم به رزقاً قد كان هُيئ له**» ، ثم تلا رسول اللَّه ﷺ: ﴿**فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾**﴾ [القلم: ١٩-٢٠] قد حرموا خير جنتهم بذنبهم» أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه من رواية عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه.